الحركة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول
(198/218ه /813/833م)

د. ربيعة عبد السلام أحمد خليفة ـ كلية الآداب والتربية ـ جامعة صبراتة

المقدمـــة :

كانت الحضارة العربية الإسلامية في العصر الأول حضارة منفتحة على الشعوب، وتأثرت وأثرت كغيرها من الحضارات عند الأمم الأخرى، والشعوب التي دخلت في حكمها في أثناء الفتوحات العربية الإسلامية كالفرس والروم والهند واليونان وكان لها الدور الكبير في بعث الحضارة الغربية الحديثة.

ومن هنا جاءت **أهمية دراســة** هذا الموضــوع فقد كانت البدايات الحقيقة لنهضــة العرب العلمية والفكرية والأدبية، وازدهارها بشكل واسع في العصر العباسي الأول؛ إذ يعد عصر المأمون من أزهى عصور التاريخ الإسلامي، فقد شهد عصره نهضة حضــارية كبيرة، حيث كان المأمون محباً للعلم والأدب، وشــاعراً وعالماً وأديباً يحب الشعر ويجالس الشعراء، ويشجعهم، ويعجب بالبلاغة والأدب، كما كان للفقه نصيب كبير من اهتمامه، والعلماء والأدباء لا يفارقونه في حضر أو سفر، وقد أدى تشجيعه للشــعراء في أيامه إلى إعطاء الشــعر دفعة قوية، وتشــجيعه للعلوم والفنون والآداب والفلسـفة وكان ذا أثر عظيم في رقيها وتقدمها ، وانبعاث حركة أدبية وعلمية زاهرة، ونهضــة علمية وفكرية عظيمة امتدت أصــداؤها من بغداد حاضــرة العالم الإسـلامي ومركز الخلافة العباسية إلى جميع أرجاء المعمورة، حيث استطاع المأمون أن يشيد صــرحاً حضــاريا عظيما، وأن يعطي للعلم دفعة قوية ظلت آثارها واضــحة لقرون عديدة.

وبالتالي كانت **إشكالية هذه الدراسة** تدور حول ما مدا تأثير الحركة العلمية والفكرية على العالم الخارجي, وخاصــة بعهد المأمون الذي جعل من بغداد حاضــرة العالم الإسلامي , واستطاع أن يعطي للعلم دفعة قوية ظلت أثارها واضحة لقرون طويلة .
وقد تم اتباع المنهج التاريخي باعتباره المنهج الملائم لمثل هذه البحوث.
وجاءت تقسيمات البحث على النحو التالي:

المبحث الأول ـ بيت الحكمة وحركة الترجمة :

1ـ خزائن الكتب وإنشاء بيت الحكمة والعوامل التي ساعدت على ذلك .
ـ أهم الأسباب والدوافع التي ساعدت على ازدهار بيت الحكمة .
2ـ ظهور حركة الترجمة .
أ ـ التعريف بحركة الترجمة ومراحل وطرق تطورها .
ب ـ العوامل والأسباب التي ساعدت على نمو حركة الترجمة .

المبحث الثاني ـ المأمون ومجالس العلم والفقه :

1. العلوم الدينية والفقهية .
2. العلوم الفلسفية وأشهر الفلاسفة .

المبحث الثالث ـ الحركة العلمية والفكرية وأثارها على العالم الخارجي :

المبحث الأول ـ بيت الحكمة وحركة الترجمة :

1. خزائن الكتب وبيت الحكمة والعوامل التي ساعدت على ذالك :

أ ـــــــ أنشأ خزائن الكتب و دور الحكمة : تعد دور الحكمة وخزائن الكتب من أهم المنشآت التعليمية التي لعبت دورا مهما في نشر التعليم والثقافة في بعض مدن العالم الإسلامي، منذ صدر الإسلام فقد جاء في بعض النصوص التاريخية أن عبد الله بن مكتوم قدم مهاجرا إلى المدينة مع مصعب بن عمير بعد غزوة بدر فنزل دار القراء[1]، وهذا يعني أنه كان بالمدينة على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم دار مخصصة للقراءة والدرس، وتتحدث المصادر أيضاً عن بيت الحكمة الذي أنشأه الخليفة العباسي المأمون في بغداد سنة 830/215م، وكان يشتمل على دار عامة للكتب ومرصد مما جعله ملتقى نقلة كتب التراث والنساخ والمطالعين وغيرهم[2].

وجاء العصر العباسي وكان عصر الحضارة الإسلامية، وبسقوط الدولة الأموية وبانتقال السلطة إلى العباسيين سنة 132هـ/750م، انتقلت عاصمة العالم الإسلامي من دمشق إلى بغداد، وحرص خلفاء بني العباس مثل الرشيد والمأمون وغيرهما على طلب العلم ودفع عجلته إلى الأمام، فكانت السمة البارزة في تاريخ الدولة العباسية في اهتمام خلفائهم بتعميم المعرفة[3].

ومات هارون الرشيد وبيت الحكمة زينة بغداد العاصمة وعلى الرغم من الثورات والفتن التي ملأت عهد المأمون، فإن عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية، فقد اهتم بالمسائل الفلسفية، وشجع على النهضة الفكرية ونشر

العلوم، فزود بيت الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس حتى أصبحت أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة، والتأليف والتحصيل، كما خصص فيها مواضع للنساخين[4].

جمع المأمون في المكتبة أعظم المفكرين، والعلماء والأطباء والنقلة، وأغدق عليهم العطاء، فأصبحت خزانة بيت الحكمة من أثرى وأعظم خزائن الكتب في ذلك الوقت، وكان خازنها هو سهيل بن هارون، مما يؤكد أن بيت الحكمة كان يضم مكتبة جليلة، ضمت كتبها، واختير لها المترجمون المشهورون،ومنهم ، حنين ابن البطريق[5].

ب ـــــ الأسباب والدوافع التي ساعدت على ازدهار بيت الحكمة اتخذت مكتبة "بيت الحكمة" مكانة خاصة في العالم العربي وخارجه، وقد تأسست في بغداد عاصمة الدولة العباسية في القرن الثامن الميلادي على يد الخليفة هارون الرشيد والذى حكم في الفترة من (786– 809هـ), خلال العصر الذهبي للإسلام، واستمرت مكتبة بيت الحكمة في شهرتها، وازدهارها في ظل حكم المأمون بن هارون الرشيد، والذي يُعتبر المؤسس الأصلي لبيت الحكمة.

وقد شهد عصر الخليفة المأمون عصر الازدهار العلمي الذي ازدهرت ونشطت فيه حركة الترجمة نشاطاً واسع النطاق، فقد كان بيت الحكمة من أهم المراكز الثقافية اليونانية، ونشرها بين العرب الذين أقبلوا في ذلك الحين إقبالاً منقطع النظير، وشجعهم على ذلك إقبال الخليفة نفسه على الثقافة العقلية، واعتزازه بالحركة الفكرية، وتسامحه من الناحية الدينية تسامحاً أدى إلى تدعيم التيارات العقلية الجديدة التي اصطنعت بالثقافة اليونانية[6]، ومنها كان الخليفة المأمون من أكبر أنصار مذهب المعتزلة الذي يقوم أساسه على تمجيد العقل، والاعتزاز بحريته، ولا يعني ذلك أنه لم تكن هناك ترجمات قبل عهد الخليفة المأمون، فكما ذكرنا فقد بذلت قبل ذلك العهد جهود ضخمة من قبل الخليفة المنصور، ثم هارون الرشيد من بعده لنقل المادة العلمية اليونانية إلى اللسان العربي، وقد كان للبرامكة وزراء الخليفة هارون الرشيد نصيب كبير في هذه الجهود، فقد كانت عنايتهم بالثقافة اليونانية عناية كبيرة جعلتهم يقصدون العلماء، ويشجعونهم على دراستها ونقلها[7]، كما جعلهم يرسلون الرسل لشراء محفوظات إغريقية من الإمبراطورية الرومانية[8]، كما كان بيت الحكمة يشتمل على الكتب الشرعية واللسانية، وما ترجم عن اليونانية، والفارسية، والسنسكريتية والكلدانية[9]، وقد شجع الخليفة المأمون طلابه على التردد على بيت الحكمة للقراءة، ودبر لهم سبل

لإقامة، وأسباب الراحة فذهب إلى حد إقامة جناح الملحق بالدار يضم ثلاث حجرات صغيرة خصصت لينال فيها من يشاء من الرواد قسطا من الراحة، كما يقدم له الطعام والشراب دون مقابل[10]، كانت النهضة العلمية تساير عصر القوة للدول الثلاث، فكان بيت الحكمة في بغداد عنوان هذه النهضة، ورمزاً معبراً عنها،وآية من آيات عزها، وفي الحقيقة أن إنشاء الخليفة المأمون دار الحكمة في بغداد كان عاملاً مهما وحاسما في انتشار العلوم وساعد على تبني الحكام فكرة إنشاء المكتبات العامة، ورأت أن تأسيس المكتبة خير تعبير عن المستوى الرفيع الذي بلغته المظاهر الفكرية والعلمية التي كانت سمة ذلك العصر الفريد الذي تتسم به ظاهره التواصل الحضاري بين العرب وأبناء الحضارات الأخرى التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية فقد اختار هذا الخليفة أحد البرامكة وزيراً له، وهذا البرمكي سليل أسرة قديمة كان من أسلافها منذ قرون[11]، وقد عرف هؤلاء البرامكة كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم في تذوق دراسات الكتب، وجعلوا من بغداد مركزاً علمياً قدر له أن يطغى على سمرقند بجميع الروائع الأدبية الصينية والسنسكريتية[12]، والمؤلفات البيزنطية من الغرب في وقت واحد.

وكانت هذه الدار من عده وجوه أعظم المعاهد الثقافية التي أنشئت في ذلك الزمان، حيث أنشأ الخليفة المأمون مرصدا فلكيا بالشماسة، وطلب الكتب حيث سمح بوجودها، فقد طلب من أمير صقلية بعض الكتب الفلسفية والعلمية فأرسلها له، ونقل من خراسان الكثير من الكتب إلى بغداد،وأرسل جماعة من المترجمين إلى بلاد الروم لترجمة عدد من الكتب، وكانت الكتب التي أرسلها ملك الروم مزخرفة، وقد وصل فن بعضها مما يجعلها تحفاً فنية[13].

ففي خلافة المأمون لقيت الموسومة ببيت الحكمة كنوز العلم الإسلامي إلى كنوز العلم الأجنبي، وأمر بأن تشترى المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى في عهده، واستعمل أبا يوسف يعقوب الكندي فيلسوف العرب، وهو أحد العقول الكبرى في تاريخ العالم[14].

ويصف سيد أمير علي[15]: "إن بلاط الخليفة المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعر والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم الخليفة المأمون من جهات متعدد من العالم، وشملهم بعنايته، مهما اختلفت جنسياتهم، وكثيراً ما أخذ الخليفة المأمون نفسه دوراً رئيسا في المناظرات التي تدور في مجلسه، وفي

غضون حكمه وصلت الجهود الثقافية الجديدة الحد الأقصى، فقد أنشأ الخليفة في بغداد داراً رسمية للترجمة مجهزة بمكتبة، وكان أحد مترجميها"حنين بن إسحاق" الفيلسوف العبقري العظيم الواسع الاطلاع والشخصية الرئيسية في عصر المترجمين(16)، واختيار الخليفة المأمون سهل ابن هارون كاتبا على خزانة الحكمة التي ضمت آلاف المراجع في كل علم وفن، وخصص مكاناً معيناً للمؤلفات اليونانية، وعكف المترجمون على العمل بجد ونشاط، فظهر ذلك واضحاً في تقدم علوم الطب عند العرب(17)، كما اقترن اسم الخليفة المأمون بتلك النهضة الفكرية التي ازدهرت في العصر العباسي الأول بوجه عام، وفي عصر الخليفة المأمون بوجه خاص، وذلك لأنه شارك فيها بنفسه حتى حتى قيل إنه أعلم الخلفاء بالفقه، وعلم الكلام، وأنه فيلسوف الخلفاء، وحكيم بني العباس، واهتم بالتراث القديم وجمعه وخاصة التراث اليوناني،فأرسل بعثات من العلماء إلى القسطنطينية، وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية، ونقلها إلى بيت الحكمة، وكان هذا البيت بمثابة معهد علمي، يضم مكتبة لنسخ الكتب وداراً للترجمة إلى العربية، وكان له وزير ومساعدون ومترجمون ومجلدون للكتب، وقد بلغ من شغفه بالثقافة الإغريقية أن زاد اهتمامه بهذا البيت ما حدث فيه(18).

وكانت رعاية الخليفة المأمون لبيت الحكمة، وما أنفق عليه من مال، وما جرى في عهده من ترجمات للتراث الإغريقي مضرب الأمثال، فهو أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء، فهيأ للعلماء أرزاقاً سخية يتقاضونها في أوقات ثابتة، ويقبض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة العظيمة، وكذلك جرى العمل من بعده على أن يكون معهدا أو مؤسسة لها وفق ثابت يفي بنفقاتها(19).

وكان الخليفة المأمون يحض الناس على قراءة الكتب التي ترجمت في أيامه، ويرغبون في نقلها، ومن ثَمَّ تقدمت الحركة العلمية في عهده، وتنافس أولوا النباهة من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء في تحسين إنتاجهم فأجزل لهم العطاء(20)، فليس غريبا على الخليفة المأمون أن يعرف عصره بـ"العصر الذهبي" فقد قام بتوسيع بيت الحكمة التي أسسها والده الرشيد، فكان بلاطه مزدحماً بمشاهير الأساتذة والأطباء والفلاسفة الذين قدموا من جميع أنحاء العالم، ومن مختلف المعتقدات والجنسيات، وقد أغدق عليهم دون تميز في الجنس والرعاية الواسعة، كما أغدق الأموال الطائلة على المؤرخين والفلاسفة والنحويين، وجامعي الحديث الذين تجمعوا في عاصمة ملكه.

ولقد قام الخليفة المأمون باكتناز سجلات الجاهلية عند العرب، وأغنى بيت الحكمة منها، بالإضافة إلى جمعه شعر العرب والرسائل والوثائق الأرشيفية[21].

1. **المأمون وحركة الترجمة** :

عندما تقلد الخليفة المأمون مقاليد الحكم عاد للترجمة بريقها المفقود، وتوهجها الزائل، ووجدت مجموعة من العوامل التي ساعدت على الترجمة وشجعت العرب على نقل العلوم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية.

أ. **مراحل تطور الترجمة في عهد الخليفة المأمون:**

لما آلت الخلافة إلى المأمون بلغت في عهده الترجمة إلى العربية ذروتها؛ إذ يعدّ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بحق عصر الترجمة والمترجمين، فقد كان الخليفة المأمون واسع العلم ميالاً إلى القياس العقلي[22]. ومما يرى في السبب الذي من أجله كثرت كتب الفلسفة وجعل الخليفة المأمون يقبل على الترجمة ما يرويه ابن النديم وغيره أن المأمون رأى في منامه رجلاً جالساً على سريره، قال المأمون: فقلتُ: من أنت؟ قال: أرسطو طاليس، فسُررتُ به، وقلتُ: أيها الحكيم، أسألُك؟ فقال: سل، قلتُ: ما الحسن؟ قال: ما حَسُن في العقل، قلتُ ثم ماذا؟ قال: ما في الشرع ، قلتُ: ثم ماذا؟ قال: ما حَسُن عند الجمهور، قلتُ: ثم ماذا؟، قال: ثم لا، ثم لا[23]، فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب، فأنفذ المأمون المبعوثين المترجمين إلى بلاد الروم لإحضار الكتب وترجمتها،ومن الطرق التي انتهجها الخليفة المأمون للحصول على الكتب أنه كان يرسل بعثات من المترجمين إلى بلاد الروم، حيث كان هؤلاء المبعوثون يتصيدون الكتب النادرة ويقومون بشرائها من أصحابها وترجمتها، ومن هؤلاء المبعوثين المترجمين يحيى بن البطريق ويحيى ابن أبي منصور وغيرهما[24].

ويعتبر الخليفة المأمون أول من بعث بالرسل إلى إمبراطور الروم يطلب منه كتب اليونانية[25]، وكان حنين بن إسحاق وعمر بن الفرخان الطبري هما أشهر النقلة الذين برزوا في هذا الدور، وعلى يد هؤلاء ترجمت مختلف الكتب والمصادر متباينة،صار مجموع ما ترجم في هذا الدور يعادل جميع ما ترجم في الأدوار الأخرى مجتمعة من تاريخ حركة الترجمة[26]، وبصدد هذا الدور يذكر الأستاذ أوليري: "لقد تركز عمل الترجمة في مدرسة أسست حديثاً في بغداد، وبذل جهد دائب لجعل المادة الضرورية للبحث الفلسفي والعلمي في متناول الطالب الذي يتكلم العربية[27]، وكان الخليفة المأمون يدفع المكافآت السخية عن الترجمات ، فتقاطر المترجمون من أنحاء

العراق والشـــام وفارس من جميع الملل والأجناس يترجمون عن اليونانية والفارســية والسريانية والسنسكرتية (الهندية)، وغيرها[28].

إذن فقد كانت الترجمة في عهد الخليفة المأمون في قمتها في جميع العلوم من فلسفة وطب ومناظرات أدبية وعلمية.

ب. طرق الترجمة:

تعتبر الترجمة من المجالات العلمية التي عرفت تطورا دائماً ومتواصلاً على مر العصور والأزمنة إلى أن صارت اليوم من الميادين العلمية القائمة بذاتها.

وكانت ترجمة الكتب إلى العربية تتم بواســطة إحدى الطريقتين اللفظية والمعنوية.

1. **طريقة الترجمة اللفظية:** وتعني أن يقوم الناقل بترجمة النص ترجمة حرفية، أي: أن يجد لكل كلمة ما يقابلها في اللغة العربية، وطريقة الترجمة هذه غير مقبولة، ولها ســلبياتها الكثيرة، وذلك لأن الكثير من الكلمات الأجنبية ليس لها مرادف في اللغة العربية.
2. **الطريقة المعنوية في الترجمة:** وهي الأوســع انتشــارا والأكثر دقة، حيث يعمد المترجمون إلى النصــوص المراد ترجمتها فيفهمونها بلغتها الأصــلية ثم يقومون بترجمة المعاني إلى اللغة العربية دون التقيد بكل كلمة فيها.

وكانت الطريقة المثلى للترجمة هي التي تقوم على المزج بين الطريقتين اللفظية والمعنوية،أي أن يقوم المترجم بفهم المعنى الحقيقي للنص الذي يريد ترجمته، ثم يلاحظ وكل كلمة واردة فيه، ومما يلاحظ على حركة الترجمة إلى العربية أنها كانت تتماشــى مع حاجات الدولة العربية الإســلامية، فقد نقل العرب في بداية عهدهم الكتب العلمية كالرياضــيات، والفلك، والكيمياء، والطب، ولكن عندما كثرت لدى العرب كتب العلوم وصــلت إلى درجة كبيرة من التقدم والتطور، اتجهوا إلى العلوم النظرية من فلســفة ومنطق منذ زمن الخليفة المأمون،فبلغت الحركة الفكرية ذروتها وارتقى المســتوى الحضــاري في الدولة فشــاءت الحاجة إلى الاطلاع على الثقافات الأجنبية، ثم إن وجود الخليفة المأمون واسـع الثقافة والاطلاع جعل الناس يقبلون على المشاركة في هذه النهضة الثقافية الفكرية التي كانت رديفة لنهضتهم العلمية[29].

ج. أشهر المترجمين في عهد المأمون:

كان لتشجيع الخليفة المأمون لحركة الترجمة أكبر الأثر في ازهارها في عهده، فظهر عدد كبير من المترجمين، ممن قاموا بدور مهم في نقل العلوم والفنون والآداب والفلسفة إلى العربية، والإفادة منها وتطويرها ،ولعل من أبرزهم:

1. جورجيسبن يخشوع: وكانت له خبرة بصناعة الطب، ومعرفة المداواة، وأنواع العلاج،خدم بصناعة الطب المنصور، وقد نقل للخليفة المأمون كتباً كثيرة من كتب اليونان إلى العربية، ويبدو أن هذا النقل، كان يتم عن طريق مترجمين آخرين؛ لأنه نفسه لم يكن يتقن العربية، ولجورجيس من الكتب كتابه المشهور، والذي نقله حنين بن إسحاق من السرياني إلى العربي[30].

أ. حنين بن إسحاق: الطبيب البارع الذي ألف العديد من المؤلفات الطبية، كما ترجم عدداً من كتب أرسطو وأفلاطون إلى العربية ويبدو من كلام ابن النديم أن أكثر ترجمات حنين بن إسحاق كانت من اليونانية إلى السريانية[31]، ومن العربية من كتب أبقراط كتاب الفصول، كتاب الكسر والجبر، كتاب الماء والهواء، ومن كتب جاليتوس ترجم حنين بن إسحاق كتاب فرق الطب، وكتاب المقولات الخمس في التشريح[32].

د. أسباب ازدهار الترجمة:

1. تأثير الدين الإسلامي الذي حدث على التفكير وطلب العلم.
2. اطلع العرب من خلال الاحتكاك بغيرهم من الأمم على ثقافات جديدة ومتنوعة لم يكن لديهم بها علم من قبل.
3. حاجة العرب لعلوم لم تكن معروفة لديهم، فأخذوا منها ما يوافق دينهم، وما هم بحاجة إليه في الطب والحساب لمعرفة أوقات الصلاة وتعيين بدء أشهر الصوم والحج.
4. تسابق الخلفاء على رعاية العلم والعلماء، وتشجيعهم للحركة والنقل للمترجمين، وللقائمين على التعريب، وقد بذل هؤلاء الخلفاء الأموال الطائلة في سبيل تشجيع المترجمين وغيرهم، حتى قيل: إنهم دفعوا للمترجمين مقابل كل كتاب يترجمونه مثل وزنه ذهباً.
5. مظاهر الاحتفاء بالمترجمين كإنشاء المعاهد الخاصة التي تعنى بالترجمة، فقد أنشأ العباسيون بيت الحكمة، وجُمع فيه الناقلون، فأصبح نقل الكتب الأجنبية إلى العربية

جزءاً من سياسة الدولة تبذل في سبيله الأموال الطائلة[33].

ه. نتائج الترجمة:

لا خلاف في أن الترجمة كانت النافذة الأساسية التي اطلع العرب من خلالها على علوم الأمم ومعارفها، ومع أنه كانت للترجمة سلبياتها كالترجمة الملخصة والبعيدة على الدقة نتيجة النقل السريع الذي ابتغى بعض أصحابه الربح المادي، إلا أن هذه السلبيات يصغر شأنها أمام النتائج الإيجابية الكثيرة التي منها:

1. اطلاع العرب على علوم كانوا في حاجة إليها، ولم يكن لهم بها علم من قبل، أو كانوا على إلمام ضئيل ببعضها، كالرياضيات، والطب، والفلك، والطبيعة وغيرها.
2. عملت الترجمة على حفظ تراث الأمم من الضياع، وذلك من خلال المحافظة عليه في ترجمات عربية في مكتبات العالم الإسلامي.
3. كانت الترجمات نقطة البدء التي مكنت العرب من الإسهام في تطور العلوم.
4. اتساع الثقافة العربية كما أضيف إليها ثقافات الأمم المختلفة، مما أدى إلى هذا التطور الكبير في العقلية العربية، وإلى تطور الحضارة العربية الإسلامية.
5. كان للترجمة أثر مهم على اللغة العربية، فأدى ذلك إلى دخول الكثير من المصطلحات الأجنبية في مختلف العلوم والفنون إلى قاموس اللغة العربية[34].

وخلاصة القول: إن حركة الترجمة ازدهرت في منتصف القرن الثالث الهجري ازدهارا كبيرا خاصة في عهد الخليفة المأمون.

المبحث الثاني ـ لمأمون ومجالس العلم والفقه:

1. **العلوم الدينية والفقهية** كان عهد الخليفة من أرقى عهود العلم في العصر العباسي، وذلك لأمرين:

الأول ـ أن الخليفة المأمون نفسه قد اشتغل بالعلم وأمعن فيه، حينما كان بمرو، فقد جالس كثيراً من العلماء وأخذ عنهم جملة صالحة من العلوم الدينية كالحديث والتفسير والفقه واللغة العربية، فكان محباً للعلم ولازدياد نشره.

والثاني ـــ ما كان من الأمة نفسها من شوق للعلم والبحث، وكثرة العلماء في كل مصر من أمصار المسلمين[35].

والعلوم التي زاد انتشارها في عهده ، لقد اتسع نطاقها في عهده بكثرة الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، وكان يعقد لهم المجالس ويحضرها بنفسه، فيتناظرون ويدلي

كل واحد منهم برأيه، في غاية الحرية مع إقامة الدليل على كل ما يكون، فأدى ذلك إلى تنقيح كثير من المسائل وإلى تشعب الآراء دون أن ينقص عالم آخر[36]، إلا أنه قد نتج عن ذلك مسألة، وهي حركة الاعتزال، وكانت من المسائل العامة التي تعرض لها العقل من قديم، وخاض فيها الفلاسفة اليونان، والزردشتيون (المجوس) والنصارى والمسلمون.

وأما عن موقف المأمون من الفرق المذهبية بالعالم الإسلامي فقد كان هو الخليفة العباسي الوحيد الذي على مذهب الشيعة , وقرر الإعلان عن عقيدته في خلق القرآن , وحمل الناس على القول بذالك , وظل المأمون من سنة 202هـ إلى 218هـ يدعو لهذا الفكر بالحوار, فلما رأى إعراض الناس ورفضهم لتلك البدعة قرر الاستعانة بسلطته ونفوذه وإجبار أهل العلم على اعتناق هذا المذهب وعقد لهم محاكم التفتيش فكان يؤيد المعتزلة فيما يقولونه ، وكتب رسائل في تأييد آرائهم ، وكان من سوءاته التي أحدثت بين علماء المسلمين فتنة دامت تسع عشرة سنة , ومسألة الجبر والاختيار، أي: هل الإنسان حر الإرادة يعمل ما يشاء ؟ وأنه مسؤول عن عمله، أو أنه مجبور في أعماله، وأن القدر هو الذي يحكم جميع أعماله من خير وشر، وأن يثاب أو يعاقب، لأنه عالم بكل شيء، وعالم بما يصدر عن كل فرد من خير أو شر، وقد وردت آيات في القرآن الكريم تدل على الجبر، وآيات أخرى تدل على الاختيار، وقد سمي هؤلاء الذين يقولون بأن الإنسان حر الإرادة وله قدرة على أعماله بالقدرية أو المعتزلة فيما عرفت الطائفة الأخرى بالجبرية والسلفية، وقد اختلف العلماء حول تلقيب المعتزلة بهذا اللقب، فالبعض يرجعه إلى اعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حلقة أستاذهما الحسن البصري بسبب اختلافهما معه في بعض المسائل الفقهية، والبعض الآخر يرى أن الاعتزال للفرقة نفسها؛ لأنها اعتزلت أو خالفت الأقوال السابقة وأحدثت رأياً جديداً[37].

كان مجلس المأمون ساحة واسعة للجدل والمناظرة، وكان مثقفا ثقافة واسعة وعميقة بالعلوم الدينية واللغوية وبالفلسفة وعلوم الأوائل، فمضى يحول مجلسه في دار الخلافة ببغداد إلى ندوات علمية تتناول فروع المعرفة، وفي ذلك يقول يحيى بن أكثم: "أمرني المأمون أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من بغداد، فاخترت له من أعلامهم أربعين رجلاً أحضرتهم، وجلس لهم المأمون، فيسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم"، ويمضي ابن أكثم فيقول: "إنه عندما انتهى ذلك المجلس طلب إلي المأمون أن أنوع مجالسه بحيث يكون لكل طائفة من العلماء مجلس"، ويصور المسعودي ما عاد على الحركة العلمية من هذه الندوات التي عدت كأنها مجمع علمي

كبير، فيقول: "قرب المأمون إليه كثيراً من الجدليين والنظارين كأبي الهديل العارف، وأبي إسحق إبراهيم بن السيار وغيرهما ممن وافقهما وخالفهما، وألزم مجالسه الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء وأقدمهم من الأمصـــار وأجرى عليهم الأرزاق (الرواتب) فرغب الناس في صـــنعة النظر وتعلموا البحث والجدل، ووضـــع كل فريق منهم كتبا ينصـــر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله[38]، وقد أعطيت الحرية العقلية في هذا المجلس إلى أبعد غاية ممكنة بحيث كان كل رأي يعرض للمناقشة الخالصة[39].

وكان المأمون يميل إلى الإقناع في الجدل والمناقشة "احتمال آراء المتناظرين إذا لم تتفق مع آرائه وميوله" والعمل على قطع دابر الرياء والنفاق وغيرهما من الرذائل التي كانت متفشية بين قواده وجنده[40].

1. العلوم الفلسفية وأشهر الفلاسفة والعلماء:

وقد برز في هذا العصـــر علماء أفذاذ لا يشـــق لهم غبار، وعلى درجة عظيمة من العلم والتبحر في المعرفة مكنتهم من منافســـة الأوروبيين؛ بل ذهبوا أبعد من ذلك فقد شكلوا مرجعاً آمناً وقاعدة موثوقاً بها، ومن أمثال هؤلاء:

أ. علان الشـــعوبي أو علان الورقي: وكان ينســـخ في بيت الحكمة للرشـــيد والبرامكة والمـأمون، وكان علامة بالأنساب.

ب. يوحنا بن ماسـويه: (ت: 243هـ)، وكان مترجماً للرشـيد والأمين والمأمون، وقيل إنه أُرسل إلى ملك الروم لجلب المخطوطات.

ج. ســـهل بن هارون بن راهب بن أبي محمد، جعله المأمون كاتباً في بيت الحكمة وخازناً للكتب، وشاعراً فصيحاً، لكنه كان شعوبياً شديد التعصب للفرس.

د. ســـلم الفارس صـــاحب بيت الحكمة، أرســـله الخليفة المأمون إلى ملك الروم لجلب المخطوطات، ونقلها إلى بغداد، وكان ينقل مع ســهل بن هارون من الفارســية إلى العربية.

ه. الحجاج بن مطر، أرسله المأمون إلى ملك الروم لجلب المخطوطات.

و. محمد بن موسى الخوارزمي، رئيس بيت الحكمة في عهد الخليفة المأمون.

ز. ســعيد بن هارون الكاتب، وكان شــريكاً لســهل بن هارون في بيت الحكمة، وكان يقوم بترجمة الفلسفة، ومن العلماء والبلغاء بالعربية.

ح. إسحاق بن حنين (ت: 298هـ) ترجم للخليفة المأمون كتب الطب والفلسفة.

ط. ثابت بن قرة الحراني.

ي. حنين بن إسحاق، وهو أشهرهم وأمهرهم على الإطلاق. وهو رائد حركة الترجمة في العصر العباسي خلال القرن الثالث، ولعل من أهم المسوغات التي أتاحت لهذا المترجم الكفؤ أن يتبوأ المرتبة الرفيعة ويصل الدرجة العالية أنه كان متقناً لأربع لغات معاصرة، وهي: اليونانية والفارسية والسريانية والعربية، وبعد ذلك نجد التزامه الأمانة العلمية والدقة فيما يترجم رغم أنه كان يعتمد في ترجمته على المعنى وليس المصطلحات، وهذا ما جعل إنتاجه غزيراً ومنتظماً بالإضافة إلى ذلك كان هناك عامل آخر مهم، وهو التمكن من العلوم والمعارف المراد ترجمتها، مما كان يجنبه الوقوع في الأخطاء، وعامل الفصاحة والطلاقة في تعابيره في اللغة العربية، وأخيراً استخدامه الأسلوب العلمي الصارم في عمله الترجمي، وقد ركز هذا الأسلوب في الاعتماد على النسخة الأصلية للمؤلف الذي ينوي ترجمته، أي أنه يقرأ الكتب بلغتها الأصل, وبدون لغة وسيطة بينهما[41].

المبحث الثالث ـ الحركة العلمية والفكرية وآثارها على العالم الخارجي :

المدنية والعلوم: يعتبر عصر الخليفة المأمون ألمع عصر في التاريخ العربي، ويسمى بحق العصر الإسلامي الذهبي، فالذي لا ريب فيه أن السنوات العشرين التي قضاها في خلافة المسلمين قد تركت آثاراً خالدة لتطور المسلمين العقلي في جميع الحقول الفكرية، وذلك أن منجزاتهم لم تقتصر على فرع معين من فروع العلم والأدب، بل شملت كل ناحية من عالم الفكر والعقل، فازدهرت الفلسفة، والرياضيات، وعلم الفلك، والطب، وقطعت خطوات عظيمة خلال تلك الحقبة المجيدة من المدينة الآسيوية، وانتقل تراثها العقلي إلى أسبانيا الإسلامية والقسطنطينية المسيحية، ومنها تحدرت إلى أوروبا الحديثة، وقد أنشأ الخليفة المأمون المدارس والكليات في جميع أنحاء الدولة، كما أنشأ مجلسا استشارياً للدولة مؤلفاً من ممثلي الطوائف جميعا، فكان هذا المجلس يضم المسلمين، واليهود، والمسيحيين، والصابئين، والزرادشتين على السواء، وشملت حرية المعتقد جميع الناس في عصر المأمون[42].

أ. العلوم الرياضية:

1. **الجبر:** ومن أهم العلماء الذين برزوا فيها الخوارزمي الذي أقام في بغداد في عهد الخليفة المأمون، وقد تولى منصباً في بيت الحكمة، وهو أول من ألف في الجبر، وهو الذي استعمل كلمة (جبر) للعلم المعروف بهذا الاسم، ولكتابه (الجبر) قيمة علمية تاريخية اعتمد عليه العلماء العرب في دراساتهم للجبر، ومنه عرف الغربيون هذا العلم، ولكتاب الجبر والمقابلة شأن كبير؛ إذ إن ما ألفه العلماء فيما

بعد كان مبنياً عليه، فقد بقي عدة قرون مصـــدراً اعتمد عليه العلماء في بحوثهم الرياضية[43].

2. **الحساب:** يعتبر الخوارزمي أول من ألف في علم الحساب، وهو الأول من حيث الرتيب والتبويب، والمادة، وقد ترجمه إلى اللاتينية، وبقي زمناً طويلاً مرجعاً للعلماء، وبقي عدة قرون يعرف باسم الغورتيمي نسبة إلى الخوارزمي[44].

ويرجع الفضـــل إليه في نقل الأرقام الجديدة إلى الغرب الأوروبي بعد انتقال كتابه إلى الأندلس، وترجمه إلى اللاتينية حيث حل هذا النظام محل النظام العددي الروماني الذي يتصف بالتعقيد الشديد[45]، والخوارزمي أول من ألف كتابه بين قيمة نظام الأعداد الهندي وطريقة استخدامه علميا عند ضرب الأمثلة على ذلك حتى يسهل على رجال المال والتجارة عملهم، كما عرض فيه العديد من الأمثلة بالنسبة لتقسيم الميراث بين مستحقيه حسبما ورد في القرآن الكريم بطريقة مبسطة[46].

3. **الهندسة:** وقد ألف بنو موسى في موضوعات مختلفة من الهندسة وحيل المساحة والمخروطات والهيئة، ولهم كتب في المساحة وقسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية، وكتاب في الشكل الهندسي، والمدور، والمستطيل[47].

ب ـــــ علم الفلك: لا جدال في أن تقدم علم الفلك على أيدي علماء المسلمين يرجع بالدرجة الأولى إلى حرصهم على إقامة المراصد التي سهلت لهم عملية ملاحظة الحركات والظواهر الفلكية، وليس ببعيد أيضاً أنهم أخذوها عن الإغريق فقد روي أن علماء مدرسة الإسكندرية عرفوا تشييد المراصد منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، ومع هذا فإن إقامة المراصد لم تعرف في الإسلام قبل عصر الخليفة المأمون، رغم ادعاء البعض بأن بني أمية أقاموا مرصداً في مدينة دمشق؛ لأنه من المؤكد أن الخليفة المأمون العباسي أضاف إلى بيت الحكمة في بغداد بالقرب من باب الشماسية مرصداً فلكياً عُدّ أول مرصد في الإسلام [48].

ج ـــ علم الحيل: من المعروف أن علماء المسلمين اعتمدوا فيه بصفة أساسية على ما وصلهم من كتب التراث القديم، ككتاب الفيزيكس لأرسطو وغيره من الكتب، كما أنهم عمدوا إلى تقسيم علم الحيل إلى قسمين أحدهما يبحث في جر الأثقال، والآخر يبحث في آلات الحركة وصفة الأواني العجيبة.

د ـــــ البصريات: يرجع اهتمام المسلمين بالبصريات إلى وقت مبكر، فقد أشارت المصادر إلى أن العالم والفيلسوف العربي يعقوب بن إسحاق الكندي قد وضع اثني

عشـــر كتـابـاً في الطبيعـة، منهـا كتـابـان في اختلاف المنـاظر، وآخران في عمـل المرايا(49).

و ـــــ علم الطب: تطورت الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تطوراً كبيراً، وعم الترف معظم نواحي الحياة، وقد صـــاحب ذلك انتشـــار الأمراض نتيجة تنوع الأكل والشـــرب ونتيجـة لحيـاة المـدن الجـديـدة، ممـا أدى إلى حـاجتهم المتزايـدة للأطبـاء والمستشفيات، كذلك فقد كان تشجيع الخلفاء العباسيين ومنهم الخليفة المأمون للأطباء وللترجمة أثر كبير على تطور الطب، وكان من مظاهر تطور الطب نشـــأة المدارس الطبية في العالم الإســـلامي، وكـان نظـام التدريس فيها يعتمد على منهجين، أحدهما: يعنى بالدراســـة النظرية للأمراض وكيفية علاجها، والثاني يعنى بالتدريس العلمي والتمرين، وذلك بأن يجمع الطلاب حول رئيس الأطباء فيرون كيف يفحص المرضى، وما يصـــف لهم من العلاج، وعند انتهاء الدراســـة يتقدم الطلاب للامتحان فمن أجازه لقسم اليمين حصل على الإجازة لممارسة الطب(50).

هـ الأدب العربي: لقد تطورت المعارف الإسلامية الأصلية خلال هذا العصر جنبا إلى جنب مع العلوم الغربية فكانت على ارتباط بها، فالمتبحرون العباسـيون كانوا أول من أنتج معظم المصـادر الجوهرية والأعمال القديمة في ميادين الدراسات القرآنية،وفلسفة التشريع، والقواعد، والمعاجم،والبلاغة، والأدب، بالإضـافة إلى الفلسفة والعلم والطب والجغرافيا، والفلك والموسيقى والأدب العربي كقسم من الثقافة الإسلامية تغير خلال العصـر العباسـي إلى درجة بالغة الأهمية من حيث مصـادره، وموضـوعاته، وأسـاليب تعبيره،كما تغيرت طبيعة مستمعيه من حيث الذوق والحساسية والترقب، وإن الكتاب والشعراء العباسيين لم يسـهموا في جلال عصرهم إلى حد كبير فحسب؛ بل لقد تركوا بصماتهم أيضا على جوانب عديدة من ميادين من النهضة الأوروبية.

الخاتمة :

وهكذا من خلال العرض السـابق نجد أن عصـر الخليفة المأمون ألمع عصـر في التاريخ العربي، وقد سـمي هذا العصـر بالعصـر الذهبي؛ لأنه ترك آثارا خالدة أتطور المسـلمين في جميع نواحي العلوم، لذلك نجد منجزاتهم لم تقتصـر على فرع من فروع العلم والأدب، بل شـملت جميع النواحي، فازدهرت الفلسـفة والرياضـيات وعلم الفلك والترجمة والطب، وقد أنشأ الخليفة المأمون المدارس والكليات، وقد اهتم ببيت الحكمة الذي يعدّ أحد أكبر المراكز العلمية التي ظهرت في العالم، وكان لها دور كبير في نشر

العلم والمعرفة، إضـــافة إلى تعريب العلوم بنقلها من اللغات المختلفة إلى العربية، وازدهرت في عصـــره لتعهد بالرعاية والترجمة إلى العربية مجموعات من الكتب اليونانية.

- تم إنشـــاء بيت الحكمة في البداية من أجل اســـتضـــافة المترجمين والحفاظ على أعمالهم، ولكن سرعان ما شمل أنشطة بحثية إضافية في مجالات العلوم والطب وعلم الفلك.
- كانت هذه المكتبة منظمة بشكل ملحوظ،إذ كانت لها غرف منفصلة، فكانت هناك غرف للكتب، وغرف للمجلدات، وغرف لأمناء المكتبات،وغرفة للمرصد الفلكي.
- ضـــم بيت الحكمة العديد من العاملين والمتخصـــصـــين من المترجمين والعلماء والكتبة والمؤلفين والباحثين في المجالات كافة .
- كان بيت الحكمة مفتوحاً لكل من الرجال والنســـاء،ورحب بالطلاب من جميع الأعراف والأديان دون تمييز ،لذلك جمع بيت الحكمة العديد من اللغات.
- كان تأثير بيت الحكمة جليا في تنفيذ بعض التطورات في كثير من المجالات بسبب أنه كان منفتحاً على الثقافات والأفكار المتنوعة من جميع البلاد.
- أهم مميزات الترجمة في تلك المرحلة الحرص على الأصالة في الاختيار وضبط المخطوطات المراد ترجمتها، وذلك بالبحث عن أصـولها وتوثيقها التوثيق العلمي الصحيح، ومن هنا يمكن فهم السبب الكافي وراء قطع المترجمين لمسافات طويلة، وذلك بهدف البحث والتأكد من صحة المكتوب ودقة القول.

هوامش البحث :

1. المقريزي، تقي الدين أحمد علي، المواعظ والاعتبار، ط، بولاق، ج2، القاهرة، ص42.
2. ابن النديم، الفهرست، ص243.
3. خضر أحمد عطا الله، بيت الحكمة في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ص31/29.
4. محمد فاروق النبهان، مبادئ الثقافة الإسلامية، دار البحوث، الكويت، 1973، ص69.
5. المقريزي، مصدر سابق، ص407.
6. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية،، بيروت، لبنان، 1953م، ج2- ص38.
7. عبد الكريم بليغ، أدب المعتزلة في القرن الرابع الهجري، م.الرسالة، القاهرة، 1955، ص98-99.
8. أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية، ص228.
9. عبد الله بن العباس الحراري، تقدم العرب في العلوم والصناعات، دار الفكر العربي، ص33.
10. محمد إبراهيم الصبحي، العلوم عند العرب، مكتبة النهضة، مصر، ص77-88.
11. خضر، مرجع سابق، ص57.
12. جاك-س-يسلر، الحضارة العربية، ترجمة: محمود غنيم، الدار المصرية، القاهرة، 1966م،

ص83-98.
13. ابن الجوزي، علي بن عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف، 1357هـ، ص154، عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1977م، ص35.
14. كارل بروكلمان، مرجع سابق، ص203.
15. سيد أمير علي، مختصر تاريخ العرب، بيروت، ط1، ص54-57.
16. توماس أرنولد وآخرون، تراث الإسلام، ط3، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ص452-454.
17. محمد الحسيني عبد العزيز، الحياة العلمية في الدولة الإسلامية القاهرة، ص59.
18. أحمد المختار العبادي، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1977م، ط2، ص108.
19. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب، دار المعارف، مصر، ط8، ص59.
20. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ص209.
21. أحمد رستم، ديوان المكتبات في العالمين العربي والإسلامي في العصر الوسيط، مجلة المورد، ع4، بغداد، ص280.
22. العمري، مرجع سابق، ص53، 54.
23. الفهرست، مصدر سابق، ص339.
24. المصدر السابق، ص340.
25. عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، دار المعارف، بيروت، ص243.
26. رشيد حميد حسن الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، طرابلس-ليبيا، ط1، 1982م، ص29، 30.
27. دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ت: إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، ص120.
28. حسن سمعات، الموجز في تاريخ الحضارة والثقافة، دار المعارف، بيروت، ص183.
29. العمري، مرجع سابق، ص57-59.
30. ابن النديم، مصدر سابق، ص304.
31. المصدر السابق، ص401، 402.
32. المصدر نفسه، 404- 410.
33. عبد الله العمري، تاريخ العلم عند العرب، عمان، دار مجدولين، ط1، 1990، ص46، 47.
34. العمري، مرجع سابق، ص65، 66
35. العمري، مرجع سابق، ص65، 66.
36. الحضري أحمد، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية, دار الفكر العربي، ص70.
37. بوجينا غيانة، تاريخ التشريع الإسلامي، دار الآفاق الجديدة، ص258.
38. أحمد مختار العبادي، التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، ص108، 109.
39. المسعودي، نزهة الآفاق ص33.
40. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ط8، ص102، 103.
41. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط2، دار الجيل بيروت، 1991، ص58.
42. أوليري، مرجع سابق، ص97-98، ومحمد حسن، الكشكول، طرق الترجمة، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1998م، ص294.
43. سيد أمير علي، مرجع سابق، ص246، 247.

44. منتصر، مرجع سابق، ص108.
45. المرجع نفسه، ص109.
46. أحمد عبدالرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1991م، ص52، 53.
47. عبد الرزاق، المرجع السابق، ص53، 54.
48. منتصر، مرجع سابق، ص110.
49. العمري، مرجع سابق، ص94.
50. عبد الرزاق، مرجع سابق، ص70، 71.
51. عبد الكريم محفوظ، عبقرية الحضارة العربية، دار الجماهيرية للنشر، طرابلس، ط1، 1990م، ص48، 49.